المحور الرابع: خصائص الوجه الثقافي الأشولي وانتشاره عبر العالم وفي شمال إفريقيا.

(المحاضرة السابعة)

تمهيد

يعد الوجه الثقافي الأشولي ثاني أقدم حضارة إنسانية تنتمي إلى فترة العصر الحجري القديم الأسفل، وتأتي مباشرة بعد الوجه الثقافي الألدواني، حيث أن هذا الأخير يعتبر القاعدة الثقافية التي تطورت من خلالها الحضارة الآشولية، انتشر الوجه الثقافي الأشولي في إفريقيا وآسيا خلال فترات مبكرة تفوت المليون سنة بالنسبة لبعض المواقع، أما بالنسبة للمواقع الأوربية المارخة فهي كلها دون المليون سنة، ويبقى الجدل العلمي قائما فيما يخص توضيح الملامح الثقافية المتعلقة بالفترة الانتقالية بين الحضارة الألدوانية والحضارة الأشولية، وكذلك فيما يخص كيف ومتى تم انتشار الوجه الثقافي الشولي خارج القارة الإفريقية.

تعريف الالوجه الثقافي الآشولي

عرفت الحضارة الآشولية لأول مرة في فرنسا وبالضبط في موقع سانت أشول Saint – Acheul، حيث أطلقت عيها فيما بعد تسمية الآشولية نسبة للموقع الآنف ذكره وذلك من طرف الباحث مورتي Gabriel de Mortillet سنة 1872، ثم درست هذه الأخيرة من طرف العديد من الباحثين أمثال بورد والقس بروي l'Abbé Breuil, François Bordes. امتدت الحضارة الآشولية من حدود 1.5 مليون سنة إلى حوالي حدود 200 ألف سنة ظهرت لأول مرة في أفريقيا وانتشرت فيما بعد إلى أوربا وآسيا.

المواقع الأشولية في العالم

عرفت الحضارة الأشولية انتشار معتبر في القارة الإفريقية منذ فترة مبكرة في حدود 1.5 مليون سنة، واستمر هذا الانتشار في أوروبا وأسيا في فترات زمنية متأخرة زمنيا نسبيا، إلا أن الوجه الثقافي الأشولية يتميز بصناعة تظهر خصائص تطورية ملحوظة تختلف عن الصناعة الألدوانية ويتصدر منتوجها الثقافي صناعة أداة ذات الوجهية التي تمتاز بحافتين قاطعتين، وتعتبر الفترة الانتقالية بين الوجه الثقافي الألدواني المتطور والوجه الثقافي الأشولي الأسفل من أصعب الفترات من حيث الدراسة ومن حيث تمييز الروابط الكرونو–ثقافية بينهما.

انتشار المواقع الأشولية عبر القارة الإفريقية

تعددت مواقع الوجه الثقافي الأشولي في إفريقيا، حيث عدد كبير منها موجود بإفريقيا الشرقية، هناك مواقع بإيوبيا مثل موقع كاذا قونا على ضفاف نهر الأواش الأسفل والذي أرخ بين 1.7 مليون سنة و 1.6 مليون سنة، موقع قربا المؤرخ بين 1.4 مليون سنة إلى غاية 150 ألف سنة.

الشكل. 14: انتشار المواقع الأشولية عبر القارة الإفريقية

بالنسبة لكينيا، موقع ميلكا كونتوري على ضفاف نهر الأواش العلوي والمؤرخ بين 1.4 مليون سنة و150 ألف سنة، ومواقع أخرى على غرار أقدم المواقع التي قدمت هذا الوجه الثقافي موقع كوكيسلاي 4

على ضفاف نهر توركانا والمؤرخ ب1.7 مليون سنة، موقع كاراري المؤرخ ب 1.6 مليون سنة، وكذا مواقع أولورقيساي وكيلومبي وإسينيا، هناك مواقع بطانزانيا مثل أولدوفاي المؤرخ بين 1.5 مليون سنة و1.3 مليون سنة وبينيج المؤرخ بين 1.5 مليون سنة و1.2 مليون سنة وموقع إسيميلا.

أما بالنسبة لإفريقيا الغربية نجد موقع كيلومبي وبروكن هيل وفيكتوريا فالس، كم أن هناك مواقع عديدة في جنوب إفريقيا أهمها ستيرك فونتان وسوارتكرانس وقوتنق اللّذان أرخا ب 1 مليون سنة اكتشف فيهما أثر استعمال النار في بعض العظام المحروقة.

الموقع الأشولية في إفريقيا الشمالية (بلاد المغرب)

تكتنز منطقة شمال إفريقيا الكثير من الشواهد المادية الدالة على تواجد صناعة حجرية أشولية، بحيث أنها اكتشفت في مواقع عدة صنفت طوبوغرافيا وجيولوجيا على ثلاثة مجموعات وهي على النحو التالي:

- المجموعة الأولى هي تلك المواقع المرتبطة بتوضّعات الزمن الرابع الساحلي، على سبيل المثال ضفة المحيط الأطلسي بالمغرب الأقصى، أين تُظهر المستويات الأثرية مخلفات وبقايا مادية تتراوح من فترة الألدواني وتصل إلى العصر الحجري القديم الأوسط.
- المجموعة الثانية تتضمن مواقع التوضّعات النهرية والبحيرية العديد منها في الجزائر وجنوب المغرب الأقصى إلى غاية المناطق الموريتانية والجنوب التونسي إلى غاية المناطق اللّيبية.
- المجموعة الثالثة تضم المواقع في مناطق الآبار والينابيع الارتوازية، التي جلبت المجموعات البشرية خلال فترات الأشولية، على غرار موقع عين فريطسة بالمغرب الأقصى وموقع تيغنفين بالجزائر والذي قدم رصيدا أثريا غنيا من الأدوات الحجرية الأشولية مصحوبة ببقايا عظمية لحيوانات، وبقايا إنسانية من نوع أتلانتروبوس موريتانيكوس *Atlanthropus Mauritanicus* والذي ينتمي إلى فصيلة الإنسان المعتدل *Homo Erectus*.

الحضارة الأشولية في المغرب الأقصى:

تقع أبرز الشواهد المادية في المغرب الأقصى في المناطق المحاذية لمدينة الرباط وخاصة بالقرب من مدينة الدار البيضاء، أين اكتشف عدد كبير من المواقع البالينتولوجية والأثرية عرف من خلالها الطوابق الكلاسيكية للبلايستوسين البحري، من بين هذه المواقع مغارة الدببة على مستوى موقع سيدي عبد الرحمان وموقع محجرة توما وموقع ولاد حميدة أين اكتشفت مغارة وحيد القرن التي تحتوي على مستوى أثري للأشولي المتوسط.

الموقع النموذجي سيدي عبد الرحمان: يؤرخ المستوى الأثري الأشولي في الموقع ب 0.6 مليون سنة، وقدم أدوات حجرية مصحوبة ببقايا حيوانية قليلة تتصدرها فصيلة فرس النهر.

مركب مواقع محجرة توما وولاد حميدة: قدمت هذه المواقع مخلفات أثرية أشولية كثيرة أرخت ب 1 مليون سنة بالنسبة للمستويات القديمة، أما بالنسبة للمستوى المتوسط أين اكتشفت البقايا الإنسانية (فك وثلاث بقايا أسنان) فقد أرخ ب 0.6 مليون سنة. كما اكتشفت في مغارة وحيد القرن (بمحجرة ولاد حميدة) كمية معتبرة من الأدوات الحجرية أشولية مصحوبة بما يعادل خمسين فصيلة حيوانية من الفقريات والتي أفضت دراستها بنتائج استخلصت مناخا جاف بالمنطقة مقارنة بالمناخ الحالي.

تعتبر المواقع الأشولية بالمغرب الأقصى كثيرة وجد متنوعة، بحيث احتوت على الأشولي القديم في موقع محجرة توما والمؤرخ بين 1.4 مليون سنة إلى 1 مليون سنة، الأشولي المتوسط في مغارة وحيد القرن وموقع سيدي عبد الرحمان وموقع الدببة والمؤرخ بين 0.8 مليون سنة و0.6 مليون سنة، والأشولي الأعلى الممثل في جل باقي المواقع والمؤرخ بين 0.3 مليون سنة و0.15 مليون سنة.

بالنسبة للبقايا الإنسانية، تم اكتشاف ضمن المستويات الأشولية أنواع مختلفة منها، على غرار بقايا أطلانتروبوس مريتانيكوس وبقايا الإنسان المنتصب وبقايا الإنسان العاقل العتيق، هذا الأخير أرخ بين 0.35 مليون سنة و0.4 مليون سنة واكتشفت بقاياه في مواقع سيدي عبد الرحمان وصالي.

الحضارة الأشولية في الجزائر:

تقع أبرز المواقع الأشولية في وفي الصحراء الجزائرية في كل من آولف وكرزاز وتيهدايين، وفي الشمال الجزائري، في كل من موقع الماء الأبيض بتبسة، كاف سفيان بمنطقة الأوراس، المنصورة بقسنطينة ومن أهم وأبرز هذه المواقع، الموقع المشهور عين لحنش بمنطقة سطيف والذي يعتبر مستوى الأشولي فيه مندثر تماما بحيث أنه يقع في أعلى التركيبة الستراتيغرافية للموقع ولم يتم إكتشاف إلا أداة واحدة (ذات الوجهين)، ويبقى تواجد الأشولي فيه مثير للجدل، بالإضافة إلى موقع الرايح بالقرب من مدينة مستغانم وموقع تيغنفين بالقرب من معسكر والذي قدم البقايا البشرية المسماة من طرف الباحث في علم الأحياء أرامبورغ بأطلنطروبوس مريتانيكوس *Atlanthropus Mauritanicus*.

الموقع الأشولي الرايح: تزخر منطقة مستغانم بالكثير من المواقع الأشولية، موزع عبر الترسيبات الطمية للأودية وعلى منخفضات محفورة لبق مائية وبحيرات قديمة، يتكون موقع الرايح من عدة مستويات أثرية أعلاها نيوليتي، أما المستوى الأسفل فهو يضاهي ذلك الذي اكتشف في موقع تيغنيفين كم سيأتي لاحقا، بحيث ان هذا المستوى يحتوي على مخلفات مادية أشولية منها الأدوات الحجرية تتصدرها كثرة في أداة ذات

الوجهين بأنواعها المختلفة، ويحتوي الموقع أيضا على بقايا حيوانية برزت فيها فصيلة الفيلة، وحيد القرن والغزلان، سمحت التحليلات الرسوبية التي أجريت في الموقع من استنتاج بيئة بحيرية ونهرية (Derradji, 2003).

الموقع الأشولي تيغنفين: يقع موقع تيغنفين في بحيرة قديمة بالقرب من مدينة معسكر، قدم الموقع خلال حفريات الباحث أرومبورغ شواهد مادية، منها الأدوات حجرية الأشولية مصحوبة ببقايا عظمية حيواني متنوعة دلت على فصائل السافانا المعروفة حاليا في أدغال إفريقيا، بالإضافة على بقايا بشرية اعتبرت فريدة من نوعها بالنسبة لشمال إفريقيا وأسست لنوع جديد أشهر بالموقع، سمحت الأبحاث الأثرية بتؤريخ موقع الريح بين 700 ألف سنة و150 ألف سنة.

المواقع الحضارة الأشولية في الأوربية:

تتمثل المواقع الأثرية التي تعود إلى الحضارة الآشولية والمكتشفة في أوربا فيما يلي: أقدم موقع أوربي هو موقع Isernia بايطاليا، بالإضافة إلى عدة مواقع أخرى كموقع فرتازولوس Vértesszöllös بهنغاريا وأراغو Arago بفرنسا حوالي 300.000 سنة، تيرا أماتا Terra Amata بفرنسا طورالبا Torralba وأمبرونا Ambrona باسبانيا، سوانس كامب Swanscombe وهوكسن Hoxne انجلترا.

* **المواقع الآسوية:** كموقع جاوا باندونيسيا، شوكوديان بالصين، العبيدية بفلسطين المؤرخ بحوالي 1مليون سنة.

الشكل. 13: يمثل انتشار مواقع الحضارة الأشولية عبر العالم

الشكل. 14: يمثل موقع العبيدية بفلسطين خلال حفريات سنوات الخمسينيات

خصائص الوجه الثقافي الآشولي:

يتميز الوجه الثقافي الآشولي عن الوجه الثقافي الألدواني بالعديد من الميزات الجديدة بالرغم من كون الأول يعتبر تطور للثاني، فالحضارة الأشولية تختص بظهور خصائص صناعية وتقنية جديدة وبداية تناقص حجم الأدوات الحجرية مقارنة بمثيلاتها الألدوانية، هذا الأمر نتج بسبب اعتماد الإنسان الآشولي على صناعة الأدوات انطلاقا من الشظايا أكثر منه على الحصى هذا من جهة، ومن جهة ثانية اكتساب الإنسان لتقنية جديدة مكنته من تطوير الصناعة الحجرية. وعلى العموم يمكن أن نجمل خصائص الحضارة الآشولية فيما يلي:

- أكبر قسط من الأدوات الحجرية مصنوعة انطلاقا من الشظايا.
- ظهور أدوات حجرية جديدة تعد بمثابة السمة الأساسية لها والمتمثلة في ذات الوجهين والفؤوس اليدوية الأفريقية.

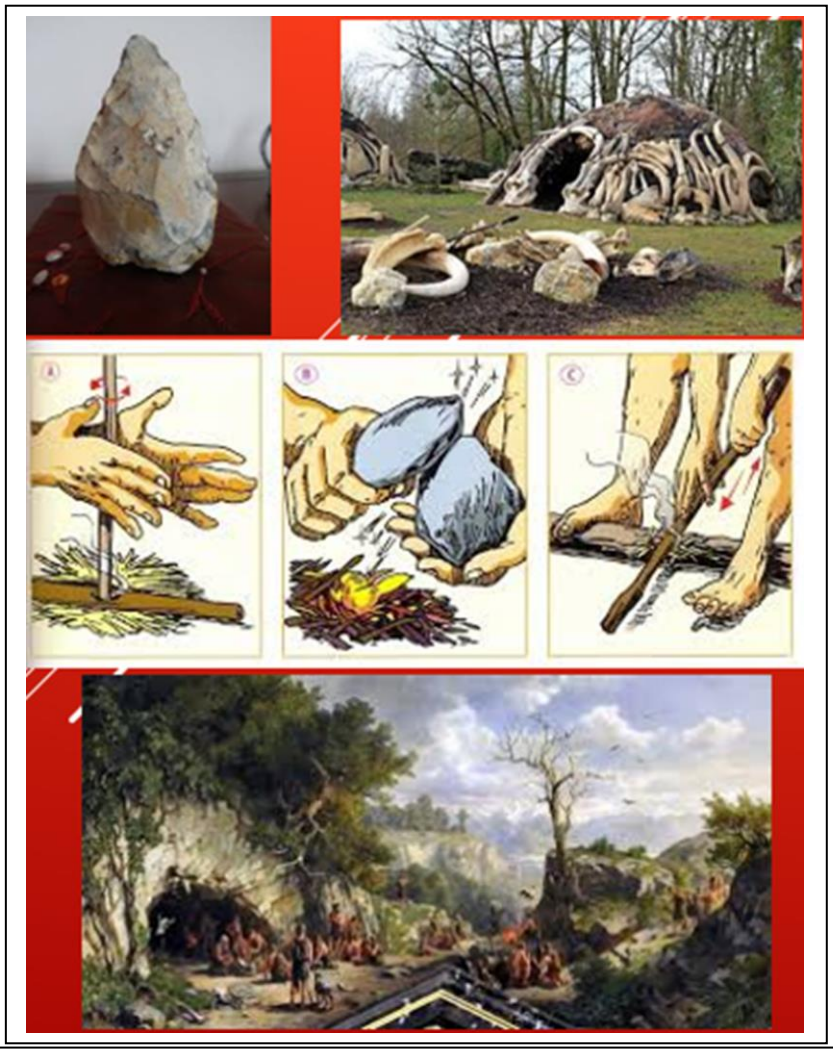

الشكل. 15: بعض المظاهر الحضارية عند الأشوليين: أداة ذات الوجهين، المسكن، استئناس النار

- تطور تقنيات الصنع واكتساب الإنسان للقدرة على تخيل الأدوات قبل صنعها وهي التقنية المسماة بالتقنية اللافلوازية.
- من أهم الأدوات المستخدمة أو المصنوعة خلال الحضارة الآشولية هي: ذات الوجهين، الفؤوس الأفريقية، الشظايا بمختلف أنواعها، المحكات والمكاشط.
- اكتشاف النار، الأمر الذي أسهم في إضفاء تغيير على مستوى الحياة الاجتماعية، وكذا تطور في تصنيع الأدوات الحجرية بتعريض المادة الأولية للحرارة ومنه سهولة التعامل معها، حيث عثر على دلائل استئناس النار في كل من موقع موير بألمانيا ونيس بفرنسا، وموقع شوكوديان بالصين. وأقدم التأريخات بحوالي 400.000 س.ق.م

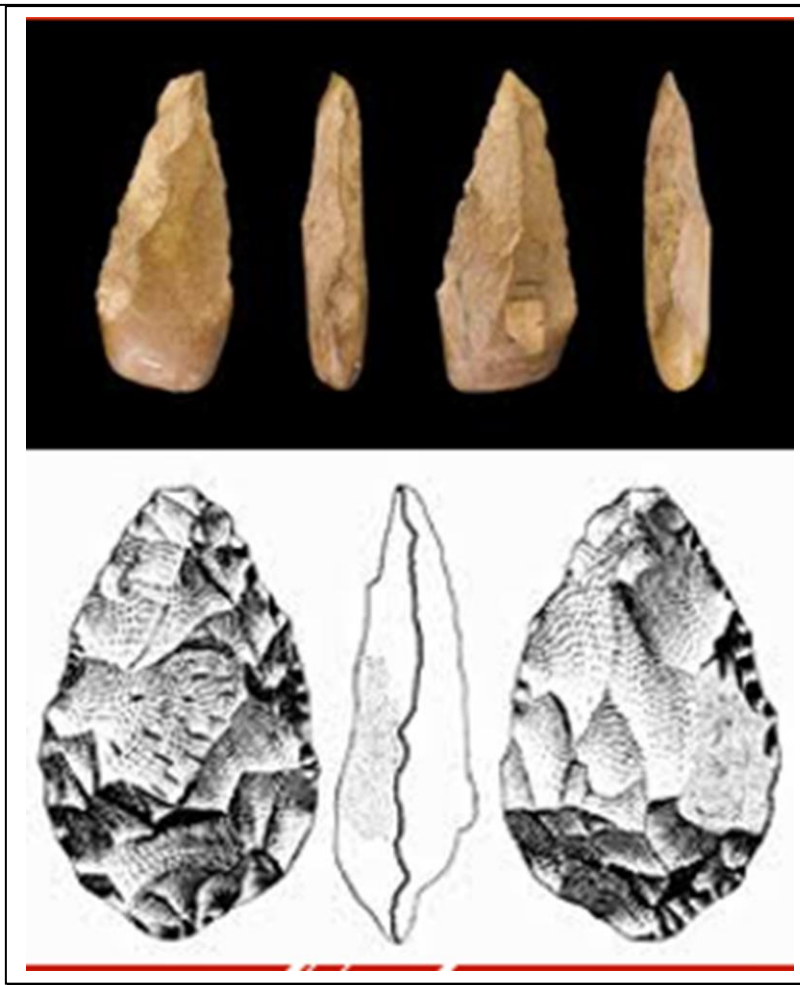

الشكل. 16: يمثل أداة ذات الوجهين لوزية الشكل

- لأقدم التهيئات السكنية الحقيقية، والتي عثر عليها بالأخص في موقع تيرا أماتا بفرنسا، وهو عبارة عن كوخ مصنوع من أنياب الفيل كدعامات أو كجدران وبقايا الهيكل الأخرى من الجماجم وعظام الأطراف.

الصناعة الحجرية عند الأشوليين:

أداة ذات الوجهين (Biface): تعد ذات الوجهين أحد أهم سمات الحضارة الآشولية، وقد سميت بذات الوجهين كونها تقصب من الجهتين، حيت تحتوي على وجهين ومدبب في الجزء الأبعد وعقب في الجزء الأقرب، إضافة إلى حافتين قاطعتين على الجوانب، ولذات الوجهين عدة أشكال منها القلبية واللوزية والمثلثية والمتطاولة والدائرية.

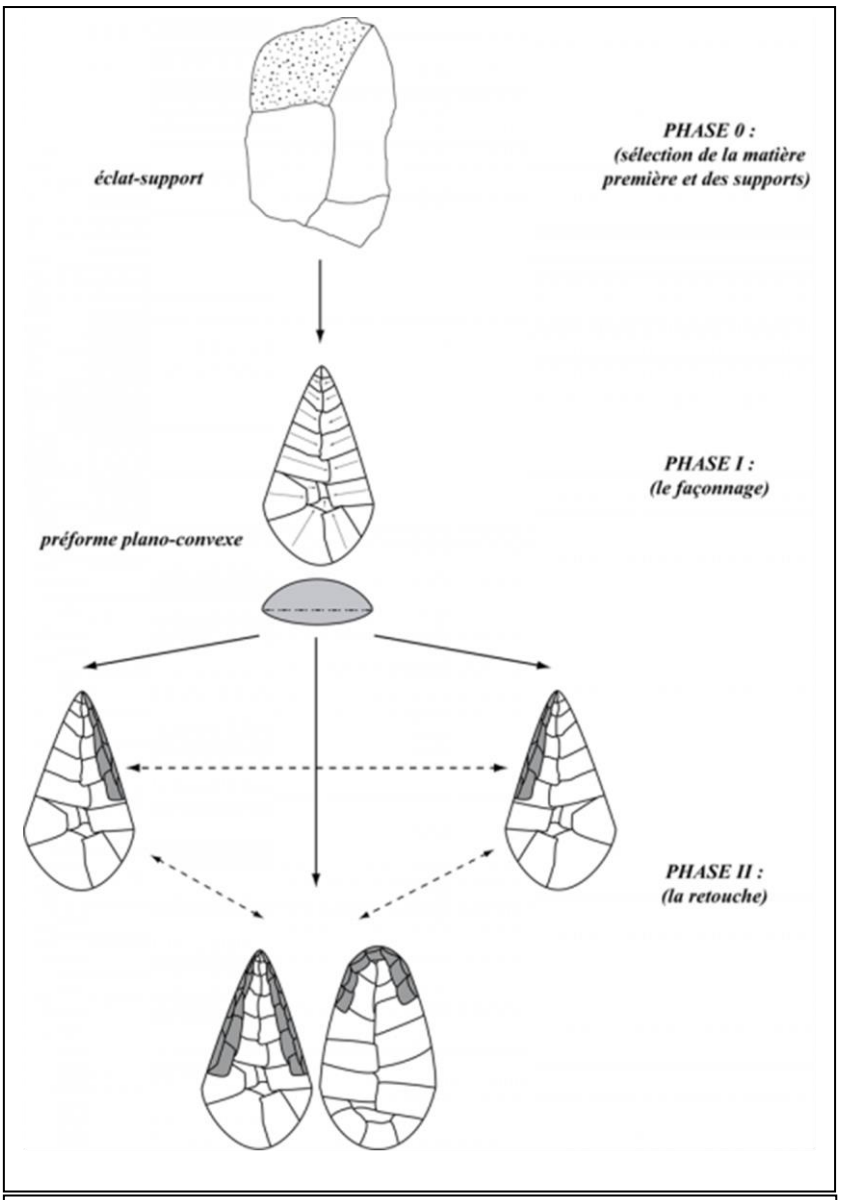

الشكل. : مراحل تقنية صناع أداة ذات الوجهين

الفؤوس الأفريقية (Hachereaux): الفؤوس الأفريقية عبارة عن ذات الوجهين لكنه يكون متميز بقاطع عرضي بذل المدبب.

التقنية اللافلوازية: سمية بالتقنية اللوفلوازية نسبة لموقع الاكتشاف وهو موقع لوفالوا بفرنسا، ظهرت في حدود 500.000 سنة هي عملية تخيل مسبق لشكل الأداة المراد تشكيها قبل عملية الصنع، اعتماد على طريقة صنع معين. أو ما تعرف بطريقة تحضير النواة. حيث يعمد الصانع إلى إجراء مسطح طرق على حصى ثم يقوم بتقصيب عمودي على هذا المسطح وأخير إحداث طرقة نهائية وبشكل أفقي على الجزء المنتفخ تخرج من جرائها الشظية المفضلة والتي تحول فيما بعد إلى أداة حجرية.

الإنسان صانع الحضارة الآشولية الإنسان المنتصب *Homo Herectus*:

صانع الحضارة الأشولية في إفريقيا متمثل في إنسان *Homo Ergaster* المقترح من طرف الباحث برنارد وود سنة 1991 الذي يؤرخ بحوالي 1.8 م سنة، إلى 1 م س وهو يمثل الإنسان المعتدل الإفريقي عثر عليه في العديد من المواقع الإفريقية التي ذكرت آنفا مثل ألدفاي بطانزانيا وخاصة ناكاتومي الطفل الجمجمة KNMER 992 التي اكتشفها ريشارد ليكي سنة 1971 بكينيا، جل الباحثين يعتقدون في كون الحضارة الآشولية تطورت على يد الإنسان المنتصب *Homo erectus*، الذي انتشر في آسيا على وجه الخصوص هذا الأخير يحمل صفات إقليمية دفعت بالباحثين إلى تقسيميه إلى ما تحت عائلات بالنظر للخصائص المورفولوجية من جهة والتموقع الجغرافي من جهة ثانية، وقد عثر عليه لأول مرة في موقع جاوا بأندونيسيا حيث يمكن تمييز حوالي ثلاث أنواع أساسية منه وهي: يتميز الإنسان المنتصب عموما بسعة مخية تصل إلى حدود 1050 س^3.

أتلانتروبيس موريطانيكوس:Atlantropus mauritanicus عثر على هذا الأخير في كل من موقع تغنيفين أو المعروفة بباليكاو بولاية معسكر (الجزائر) حوالي 600 إلى 700 ألف سنة ق.م، سيدي عبد الرحمان و موقع صالي بالمغرب.

الإنسان المنتصب البكيني:Homo erectus pekinesis: حيث عثر على هذا النوع في كل من مواقع جاوا باندونيسيا و في الصين بمغارة شوكوديان ببكين بالصين يؤرخ بحوالي 350 ألف سنة ق.م.

إنسان هيدلبانقنسيس Homo d'Heidelbergensis: عثر على هذا النوع في موقع هايدلبارق موير بألمانيا وهو سبب هذه التسمية و هو النوع الأوروبي للإنسان المنتصب 800000 إلى 300000 الإكتشاف سنة 1907 ثم اكتشف في العديد من المواقع الأوروبية.

Alimen H and Chavaillon J. (1956), Industrie acheuléenne in situ de l'oued farès, dans les Monts d'Ougarta (Sahara Occidental), vol.3, pp.212-214.

Alimen H and Chavaillon N. (1961), Grand bifaces acheuléens à pédoncule spatulé du Sahara nord-occidental.

Balout L, Biberson P, and Tixier J (1967), L'Acheuléen de Ternifine (Algérie) Gisement de l'Atlanthrope, l'Anthropologie.Tome, vol.71, pp.217-237.

Bordes F. (1988), Typologie du paléolithique ancien et moyen. Éditions du centre national de la recherche scientifique, pp.67-91.

Chavaillon J and Chavaillon N. (1962), Rapports stratigraphiques de l'Acheuléen final et de l'Atérien (Sahara nord-occidental), pp.440-441.

Roche H. (1980), Premiers outils taillés d'Afrique, société d'ethnographie, vol.53, pp.55-165.